

إِفْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلْقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اِفْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ
الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي وَزِدْنِي عِلْمًا

الْمُسْلِمُونَ هُمْ رُؤَادُ الْعِلْمِ وَالْحَضَارَةِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُخْتَرُمُونَ!

الآيَةُ الْكَرِيمَةُ الَّتِي قَرَأْتَهَا فِي مَطْلَعِ خُطْبَتِي كَانَتْ أَوَّلَ آيَةٍ أَنْزَلَهَا الْوَحْيُ عَلَيَّ نَبِيَّنَا الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُرْسَلُ دَلِيلًا لِلْبَشَرِ وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ. وَقَدْ دَعَتْ هَذِهِ الْآيَةُ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ فِي شَخْصِ نَبِيِّنَا الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ: "اِفْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلْقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اِفْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ الْإِنْسَانَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ"¹.

أَعْرَاضِي الْمُؤْمِنِينَ!

أَهْمٌ مِيزَةٌ لَوْجُودِ الْإِنْسَانِ فِي هَذَا الْعَالَمِ هُوَ مُخَاطَبَةُ الْوَحْيِ لَهُ وَدَعْمُهُ بِالْعِلْمِ. فَقَدْ أَعْلَمَنَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا"² أَنَّهُ عَلَّمَ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَسْمَاءَ الْأَشْيَاءِ وَالْحَقِيقَةَ بِنَفْسِهِ. وَتُعْتَبَرُ مِيزَةٌ التَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ مِيزَةٌ نَادِرَةٌ أَكْرَمَ بِهَا اللَّهُ تَعَالَى الَّذِي يَتَمَيَّزُ بِاسْمِ "الْعَالِمِ" عِبَادَهُ بِهَا. فَأَكْثَرُ عَمَلٍ يَتَوَجَّبُ عَلَى الْإِنْسَانِ السَّعْيُ مِنْ أَجْلِهِ كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي سَعْيِهِ خَلْفَ الرِّزْقِ الْحَلَالِ لِإِشْبَاعِ مَعِدَتِهِ هُوَ سَعْيُهُ خَلْفَ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ لِإِشْبَاعِ

نَفْسِهِ. وَمَا يُفِيدُ أَكْثَرَ مِنَ الْعِلْمِ هُوَ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ عَالِمًا، فَهَلْ هُنَاكَ أَشْرَفَ مِنْ مَقَامِ الْعَالِمِ؟ وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ الَّذِي يُدِيرُ ظَهْرَهُ لِنُورِ الْعِلْمِ أَنْ يَجِدَ الطَّمَأِينَةَ؛ لِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِهِ الْكَرِيمِ: "أَعْدُو عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا أَوْ مُحِبًّا وَلَا تَكُنْ الْخَامِسَةَ فَتَهْلُكَ"³.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَفَاضِلُ!

مُنْذُ عَصْرِ السَّعَادَةِ وَلِغَايَةِ يَوْمِنَا الْحَالِي كَانَتْ الْحَضَارَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ حَضَارَةَ عِلْمٍ تَحْمِلُ الْعَدَالََةَ وَالرَّحْمَةَ وَالسَّلَامَ وَالْأَمَانَ لِجَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ. فَالِإِسْلَامُ يَأْمُرُ الْإِنْسَانَ الَّذِي حَمَلَ الْأَمَانَةَ عَلَى الْأَرْضِ بِالتَّفَكُّيرِ وَإِنتَاجِ الْمَعْلُومَاتِ وَاسْتِكْشَافِ الْحَقِيقَةِ وَتَطْوِيرِ نَفْسِهِ وَمُجْتَمَعِهِ.

فَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ مَنْسُوبِي هَذَا الدِّينِ عَبْرَ التَّارِيخِ رُؤَادَ الْعِلْمِ فِي جَمِيعِ الْأَمَاكِنِ الَّتِي عَاشُوا فِيهَا مُسْتَوْحِينَ مِنْ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ"⁴. فَقَدْ خَطَا الْمُسْلِمِينَ خُطُواتٍ شَهِدَ عَلَيْهَا التَّارِيخُ فِي مَجَالِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَ الْعِلْمِ الْكَلَامِ وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ مِنْ الْعُلُومِ بِالإِضَافَةِ إِلَى الْفِيزِيَاءِ وَعِلْمِ الْفَضَاءِ وَالطَّبِّ وَالْجِبْرِ وَالْكَيمِيَاءِ وَالْهَنْدَسَةِ. وَقَامُوا بِرِبْطِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْمَبَادِي الْأَسَاسِيَّةِ الَّتِي لَا تَتَرَعَّرُ لِدِينِهِمُ الَّذِي يُؤْمِنُونَ بِهِ وَبَيْنَ الْقَوَاعِدِ الرَّائِعَةِ لِلْكَائِنَاتِ الَّتِي يُعَايِشُونَهَا. وَجَمَعُوا بَيْنَ الْفِيزِيَاءِ وَمَا وَرَاءَ الطَّبِيعَةِ وَجَمَعُوا الْعِلْمَ بِالْحِكْمَةِ وَكَانُوا سَبَاقِينَ إِلَى الطَّرِيقِ الَّذِي يُؤَدِّي بِالْإِنْسَانِ إِلَى

الصَّلَاحِ وَالْفَلَاحِ فِي الْآخِرَةِ. وَسَطَرُوا آثَاراً شَهِدَ عَلَيْهَا
التَّارِيخُ. وَأَنَارُوا بِإِجَادِهِمْ حَضَارَتَهُمْ وَحَضَارَةَ مَنْ تَلَاهُمْ عَبْرَ
مِنَاتِ الْقُرُونِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُخْتَرَمُونَ!

فَالأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الَّتِي تَمُرُّ فِي يَوْمِنَا الْحَالِيِّ بِأَيَّامٍ
عَصِيْبَةٍ نَتِيْجَةُ إِهْمَالِ الْعِلْمِ وَقُبُولِ الْجَهْلِ وَهَذَا يُضَايِقُنَا
وَيُوَدِّي إِلَى حَالَاتٍ تُسَبِّبُ الْأَلَمَ. لَكِنْ بِالْإِمْكَانِ إِنْتِهَاءُ التَّأخِيرِ
هَذَا وَبِنَاءِ الْمُسْتَقْبَلِ الَّذِي يَعْتَمِدُ عَلَى الطَّمَأْنِينَةِ مِنْ خِلَالِ
الْعِلْمِ فَقَطْ.

فَالْعِلْمُ قُوَّةٌ وَإِنْ كَانَتْ نِيَّةُ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَمْتَلِكُ الْعِلْمَ
صَافِيَةً فُحِثَ أَمَامَهُ أَبْوَابُ الشِّفَاءِ وَإِنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ سَيِّئَةً فَقَدْ
تَنَحَّوْا إِلَى تَقْنِيَّةٍ تَقْضِي عَلَى حَيَاةِ الْمَلَائِكِينَ. لِذَلِكَ يَتَوَجَّبُ
عَلَيْنَا نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ مَعْرِفَةَ قِيَمَةِ الْعِلْمِ وَإِنْتِاجِ الْمَعْرِفَةِ مِنْ
خِلَالِ شَرْحِ الْعِلْمِ فِي وَفْتِنَا الْحَالِيِّ مِنْ أَجْلِ نَقْلِ "أَخْلَاقِ
الْعِلْمِ" إِلَى الْجَمِيعِ. وَيَتَوَجَّبُ عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ مُجْتَمِعاً مُدْرِكاً
لِلْمَسْئُولِيَّةِ الَّتِي أَلْقَاهَا إِيمَانُنَا وَعِلْمُنَا عَلَى عَاتِقِنَا وَالتَّفَكُّرِ بِهَا
وَالِاسْتِعَانَةِ بِالْمَوَارِدِ الصَّحِيْحَةِ مِنْ أَجْلِ التَّعَلُّمِ. فَلَيْسَ لَدَيْنَا
أَيُّ ثَانِيَّةٍ نَهْدِرُهَا لِذَلِكَ يَتَوَجَّبُ عَلَيْنَا التَّمَسُّكُ بِالْعِلْمِ
وَالْمَعْرِفَةِ لِحِمَايَةِ مُسْتَقْبَلِنَا مِنْ كُلِّ تَهْدِيدٍ مَادِّيٍّ وَمَعْنَوِيٍّ.
وَيَتَوَجَّبُ عَلَيْنَا تَعْرِيفُ أَطْفَالِنَا قُرَّةِ أَعْيُنِنَا عَلَى رُؤَادِ الْحَضَارَةِ
وَتَعْلِيمِهِمْ كَيْفَ قَامَ الْعُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ قُرُونٍ مَضَتْ

بِاخْتِرَاعَاتٍ وَاكتِشَافَاتٍ كَانَ لَهَا صَدَى عَبْرَ التَّارِيخِ. وَيَتَوَجَّبُ
عَلَيْنَا تَقْدِيمُ هَذِهِ الشَّخْصِيَّاتِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ السِّبَاقَةَ

فِي مَجَالِهَا وَاسْتَطَاعَتْ اسْتِخْدَامَ الْعَمَلِ وَالْعَقْلِ وَالْمَعْرِفَةِ
مِنْ أَجْلِ خَيْرِ الْبَشَرِيَّةِ.

أَعِزَّائِي الْمُؤْمِنِينَ!

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِهِ الْكَرِيمِ
الَّذِي قَرَأْتُهُ فِي مَطَلَعِ خُطْبَتِي "اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي
وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي وَرِذْنِي عِلْماً"⁵. فَالشيءُ الْأَسَاسِيُّ لِكُلِّ
مُسْلِمٍ هُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ. وَكَمَا هُوَ الْحَالُ عَبْرَ
التَّارِيخِ يَسْعَى الْمُسْلِمُونَ فِي وَفْتِنَا الْحَالِيِّ لِلْحُصُولِ عَلَى
الْعِلْمِ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ وَتَعْلِيمِهِ وَيَسْعُونَ لِيَكُونُوا
السَّبَاقِينَ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ وَتَقْدِيمِ الْحَسَنَاتِ وَفَعَالِيَّاتِ
الْإِعْمَارِ وَالْإِحْيَاءِ وَالْبِنَاءِ. فَقَدْ تَمَّ فِي الْعَامِ 2018 وَبِدَعْمِ
مِنْ شَعْنِنَا الْخَيْرِ افْتِتَاحُ جَامِعِ الْإِمَامِ السَّرْحَسِيِّ فِي
بِيشِكِيكِ فِي فِرْعَيزِسْتَانَ وَجَامِعِ فِي كُولَنْ الْأَلْمَانِيَّةِ. وَسَيَتَمُّ
أَيْضاً بِإِذْنِهِ تَعَالَى فِي الْعَامِ 2019 افْتِتَاحُ جَامِعِ السُّلْطَانَةِ
خَالَةَ فِي قَبْرِصَ وَجَامِعِ تِيرَانَ فِي أَلْبَانِيَا وَجَامِعِ السُّلْطَانِ عَبْدُ
الْحَمِيدِ خَانَ فِي جِيْبُوتِي الَّذِي سَيَصْدَحُ فِيهَا صَوْتُ الْأَذَانَ
وَسَيَقِفُ فِيهَا الْمُؤْمِنِينَ مُتْرَاصِينَ كَتَفًا إِلَى كَتَفٍ وَسَاجِدِينَ
بِجَبِينِهِمْ. أَحْسَنَ اللَّهُ تَعَالَى لِكُلِّ مَنْ دَعَمَ أَمَاكِينَ الْعِلْمِ
وَالْعِبَادَةِ. وَتَقَبَّلَ اللَّهُ تَعَالَى خَيْرِكُمْ وَحَسَنَاتِكُمْ عَلَى أَكْمَلِ
وَجْهِ.

1 العلق، 5-1/96

2 النقرة، 31/2

4 الزمر، 9/39

5 الترمذي، الدعوات 128